الفصل ١٤
البحث عن برنامج تربويّ جيّد يناسب الموهوبين

بعد أن استعرضنا في الفصل السابق عدة قضايا تتعلق بتحديد الطلاب الموهوبين، يبقى أمامنا أن نقرّر ما أفضل برنامج تربويّ للأطفال الموهوبين؟ وفي الحقيقة أنه لا توجد إجابة واحدة بسيطة لهذا السؤال؛ بل يجب أن تؤخذ عدّة عوامل في الحسبان. فكلّما زادت معرفتك بطفلك الموهوب، تحسنّت قدرتك على التخطيط لتعليمه وتقدّمه في المدرسة. لهذا عليك أن تعرف الإجابة عن الأسئلة الآتية: في أيّ مجال/مجالات تتبدّى موهبة طفلك؟ ما مستواه في المجالات المختلفة؟ وما مستوى موهبته؟ هل طفلك متدني الموهبة، أم متوسط الموهبة، أم عالي الموهبة؟ هل هو مزدوج الاستثناء؟ هل يمتلك ميولاً، أو مواهب، أو مهارات خاصّة؟ هل يعاني ضعفًا في أحد المجالات، ويحتاج إلى تقوية؟ مما لا شك فيه أن كلّ طفل موهوب يمتلك مجموعة فريدة من الحاجات مبنيّة على ميوله، وأسلوبه في التعلّم، وجوانب قوّته وجوانب ضعفه. لذا، يحتاج والدا الطفل الموهوب أحيانًا إلى التفكير خارج نطاق المنهاج والبرامج التربويّة، حيث يسدي كثير من الخبراء في مجال تربية الموهبة نصائح لوالدي الأطفال الموهوبين، مؤكّدين على رسالة ضمنيّة مفادها أنّ الوالدين عامل رئيس في مساعدة الأطفال الموهوبين على قضاء ست عشرة سنة في المدرسة.

ألا يمكنني الوثوق بالمدرسة؟

على الرغم من وجود استعدادات في بعض المدارس للمتعلّمين المتميّزين، إلاّ أنّ مدارس كثيرة تعوزها مثل هذه الاستعدادات. وحتّى عندما توجد برامج خاصّة بهؤلاء المتعلّمين، فإنّها تكون معظم الأحيان، عند حدودها الدنيا[1]؛ ولهذا السبب فإنّنا نوصي أن يتعلّم الوالدان كلّ ما يستطيعان عن الصفات السائدة في الأطفال الموهوبين، وعن قدرات أطفالهما في مجالات متنوّعة قبل دخول هؤلاء الأطفال المدرسة. ويستطيع آباء أطفال الروضة وأمّهاتهم أن يحتفظوا بملحوظات مكتوبة، أو عقليّة عن سلوك أطفالهم، في حين يمكن لآباء الأطفال الأكبر سنًّا تزويد أطفالهم بفرص تعليميّة إثرائيّة بعد انتهاء اليوم المدرسيّ، يستطيعون فيها أن يلاحظوا سرعة تعلّم أطفالهم، ومدى الاهتمام الذي يولونه للمجالات المختلفة. إن الطفل قلّما يتعلّم في المدرسة على نحو كلّي؛ في حين يحدث جزء كبير من التعلّم في المنزل، وخارج أسوار المدرسة. ويعرف آباء الأطفال الموهوبين ممّن هم دون سنّ المدرسة مقدار الوقت الذي يقضونه وهم يجيبون عن أسئلة أطفالهم، ويدعمون شغفهم بالتعلّم. وبناءً على ذلك، فإنّ الوالدين والمدرسة يتقاسمان مسئوليّة تعليم هؤلاء الأطفال، حيث يستطيع الوالدان تقديم الدعم، وتزويد الأطفال بالفرص التعليميّة على امتداد ساعات اليوم، إضافة إلى أيّام عطلة نهاية الأسبوع، والإجازات. ويستطيع أفراد العائلات في هذه الأوقات، أن يقرؤون أو يلعبون معًا، أو يذهبون جميعًا إلى المكتبة، أو حديقة الحيوانات، أو المتحف، أو يشاهدون مسرحيّة، أو يستمعون إلى حفلة موسيقيّة. ويهيئ السفر والمغامرات التّي تحدث خارج المنزل خبرات تربويّة للأطفال؛ لأنّها

تعرّضهم إلى مواقف جديدة. وجملة القول، إنّ حبّ التعلّم والتربية التّي يحصل عليها الطفل نتيجة الجهود الحثيثة التّي يبذلها الوالدان تعدّ أكثر تأثيرًا في حياة الطفل الأكاديميّة بعيدة المدى من الموادّ الدراسيّة التّي تعلّمها الأطفال في المدرسة، إضافة إلى أنّ الكثير من الأمور، مثل قيم العائلة وتقاليدها لا يمكن تعلّمها داخل أسوار المدرسة.

التعاون مع المدرسة

توصف التربية، من الناحية المثاليّة، بأنّها جهد مشترك يتعاون فيه المنزل مع المدرسة، وتكون الخيارات التربويّة التّي تقدّم للطفل الموهوب في هذا الجهد مختلفة عن تلك المقدّمة للأطفال الآخرين، وأكثر تحديًّا منها. وعندما يكون الطفل متميّزًا، فإنّ لوالديه الحقّ في الحصول على خبرة تربويّة متميّزة أيضًا، بعيدًا عن الخبرة التربويّة النمطيّة العاديّة. ويستحقّ الأطفال ذوو الحاجات التعلّميّة غير العادية الذين يكونون في الطرف السفليّ من طيف التعلّم، الحصول على فرص تعلّميّة خاصّة، تتمثّل في الصفوف الصغيرة، والمعلّمين المتخصصين؛ وذلك لمساعدتهم على الوصول إلى أقصى طاقة ممكنة لهم.

يعرف الوالدان أنّ الأطفال الموهوبين يكونون متعطشين للتعلّم منذ وقت مبكّر في حياتهم، ولذلك فهما يتفاعلان مع الأطفال ويزوّدانهم بالتعلّم منذ اللحظة التّي يصبح فيها الأطفال واعين لما يدور حولهم، فعندما يسأل الطفل اليافع "ما هذا"؟ عن كلّ ما يراه، فإنّ الوالدين يقدّمان له الإجابة بكلّ سرور، ويزوّدانه بمعلومات إضافيّة. ومن المعروف أن هؤلاء الأطفال يطوّرون مفردات متقدّمة، ويتكلّمون جملاً كاملة قبل أقرانه بكثير. وعندما يدخل الأطفال الموهوبون المدرسة، يكون كثير منهم قد طوّر اهتمامات متقدّمة، وحبّ استطلاع قويّ. ويعرف كثير من الآباء والأمّهات أنّ هؤلاء الأطفال يتحمّسون للتعلّم قبل سنّ التاسعة بكثير، وهو السنّ الذي تبدأ عنده المدارس بالبحث عن الطلاّب الموهوبين. وتمهّد المعلومات التّي يجمعها الوالدان عن اهتمامات طفلهما، ومستوى قراءته، وأدائه في المجالات المختلفة الطريق أمام علاقات تعاونيّة معه.

وعندما تتعلّم عن النماذج والخيارات التربويّة المختلفة التّي تنجح مع الأطفال الموهوبين، فستكون قادرًا على إقناع المربين بأنّ الأطفال الموهوبين يحتاجون فعلاً إلى تعديلات جذريّة للمنهاج العامّ، أو المنهاج العاديّ، وأنّ طفلك بحاجة إلى خطة معيّنة تسمح له بالنمو الصحيح في تعلّمه المدرسيّ. إن محاولة إحداث تغيير في الغرفة الصفيّة، أو النظام المدرسيّ تمثل تحدّيًا كبيرًا، ونحن نشجّعك على أن تتحلى بالصبر في بحثك عن التغيير. إن الأمر لا يتطلب أن تكون خبيرًا أكثر من المختصين؛ لكنّ معرفتك عن البرامج والخدمات المقدّمة في المدرسة سوف تساعدك على المطالبة بحاجات طفلك. ويوجد عدد كبير من المصادر، بما في ذلك الكتب والمواقع الإلكترونيّة، التّي يمكن أن يبحث فيها الوالدان؛ كي يتعلّما أكثر عن الخيارات التربويّة التّي تناسب الأطفال الموهوبين، والطرق التّي يمكن أن يتعاونا فيها مع المدرسة[٢].

ما الذي يجب أن تبحث عنه في المدرسة؟

ما الذي يجب أن يبحث عنه والدا الطفل الموهوب في المدارس المحليّة؟ يبرز في هذا المجال سؤالان هامّان هما: هل تدعم إدارة المدرسة تعليم الموهبة ولا تكتفي فقط بقبول فكرة هذا التعليم؟ هل يستمتع المعلّمون حقًّا في التعامل مع الأطفال الموهوبين، ويوفّرون لهم قدْرًا من التحدّي في الوقت ذاته؟

كان الدكتور "دونالد تريفنجر" Donald Treffinger، وهو أحد قادة مجال تعليم الموهوبين، واضحًا تمامًا في هذا الشأن. فهو يقترح على الوالدين عدم الاكتفاء بمجرد وجود طفلهما في مدرسة تخصّص برامج للطلاّب الموهوبين. وسوف تجد في جدول ١٠، خمسة وعشرين سؤالاً تعدّ أكثر أهميّة من مجرّد وجود الطفل في برنامج للموهوبين. وتساعد هذه الأسئلة، التي نوردها بإذن من الدكتور تريفنجر، الوالديْن على مراجعة مدى تلبية المدرسة لحاجات طفلهما الموهوب، ويمكن أن تستعمل مفاتيح يثار حولها النقاش مع المربين في تلك المدرسة[٣].

جدول ١٠: أسئلة أهمّ من مجرّد سؤال: "هل طفلي ملتحق ببرنامج للموهوبين؟"

١. ما أفضل طريقة يتعلّم بها طفلي؟ وكيف تأخذ مدرسة طفلي في الحسبان الخصائص الشخصيّة للطلاّب، وأساليبهم في التعلّم؟

٢. في أيّ المجالات الأكاديميّة، أو المجالات اللاصفيّة يظهر طفلي جوانب قوّته، أو مواهبه، أو اهتماماته الخاصّة؟

٣. ما التدابير التّي تتّخذها مدرسة طفلي للتعرّف على الموهوبين، وتقويمهم ، وتطوير مواهبهم؟

٤. ما التدابير التّي تتّخذها مدرسة طفلي للتأكّد من أنّ الطلاّب يتلقوْن التعليم الذي يناسب حاجاتهم التعلميّة بشكل جيّد؟

٥. ما التدابير المحدّدة التّي تتّخذها المدرسة كي يتعلّم الطلاّب وفقًا لسرعاتهم الخاّصة، بدلاً من الالتزام سلفًا بمنهاج محدّد الخطوات؟

٦. ما المصادر والموادّ المتوافرة في المدرسة والتّي تستعمل لتعريف الطلاّب بأحدث الأفكار والتطوّرات في مجالات عديدة، وللمتابعة المتعمّقة لمجالات اهتماماتهم وقدراتهم الذاتيّة؟

٧. كيف تهيّئ مدرسة طفلي لطلاّبها سبلاً للوصول إلى خبرات الآخرين الذين يشاركونهم جوانب القوّة والمواهب والاهتمامات ذاتها؟

٨. كيف تستعمل مدرسة طفلي المصادر والمعلّمين المحليّين لتوسيع دائرة تعلّم الطلاّب في مجالات جديدة تتعلّق بمواهبهم واهتماماتهم الذاتيّة؟

(يتبع)

تكملة / جدول ١٠

٩. كيف تساعد مدرسة طفلي طلاّبها على زيادة وعيهم بأفضل ما لديهم من اهتمامات ومواهب، وتقدير اهتمامات ومواهب الآخرين في الوقت ذاته؟
١٠. كيف تساعد مدرسة طفلي طلاّبها على التفكير باحتمالات مهنة المستقبل، والتكيّف مع التغيّرات السريعة في العالم الذي نعيش فيه؟
١١. ما التدابير التّي تتّخذها المدرسة لتقديم الموادّ أو المقررّات المتقدّمة التّي تناسب الطلاّب ذوي التحصيل المتميّز؟
١٢. كيف تحدّد المدرسة حاجات الطلاّب وتراجعها كلّما دعت الحاجة إلى ذلك؟
١٣. ما الفرص الإثرائيّة التّي توفّرها المدرسة والتّي هي ليست مجرّد "إشغال للوقت"، أو واجبات "مشابهة لما سبقها"؟
١٤. كيف يزوّد المعلّمون طلاّبهم بفرص تعلميّة، ويساعدونهم على تطبيق التفكير الناقد والإبداعيّ، وحلّ المشكلات، واتّخاذ القرار، وتنفيذ مهارات العمل الجماعيّ؟ كيف تعلّم هذه المهارات وتستعمل في غرفة الصف، وفي المنهاج؟
١٥. ما الأنشطة أو البرامج التّي تقدّمها المدرسة للتركيز على مهارات العمل الجماعيّ؟ (برامج حلّ المشكلات المستقبليّة مثلاً، أو تخيّل الوصول إلى الهدف، أو مؤتمرات الابتكار، أو غيرها.)
١٦. كيف يساعد المعلّمون طلاّبهم على تعلّم التخطيط للبحث في المشكلات اليوميّة، أو مشكلات الحياة الواقعيّة، بدلاً من الاعتماد على التمارين الروتينيّة المحدّدة في الكتب المقرّرة؟
١٧. كيف يساعد المعلّمون طلاّبهم على ابتكار مشاريعهم بأنفسهم، ومشاركة زملائهم الآخرين هذه المشاريع والبحوث ؟
١٨. ما التدابير التّي تتّخذها مدرسة طفلي، أو ما الدعم الذي يوفّره المعلّمون، لتوفير فرص يستغلّها الطلاّب في استكشاف مواضيع متنوّعة خارج نطاق المنهاج العاديّ، وتتميّز بقدْر من الدافعيّة والتحدّي؟
١٩. كيف يساعد المعلّمون طلاّبهم على تحديد أهدافهم، والتخطيط لمشاريعهم، وتحديد المصادر واستخدامها، وابتكار المنتجات، وتقويم أعمالهم؟
٢٠. ما التدابير التّي يتّخذها المعلّمون كي يشعر طلاّبهم بالراحة والثقة في التعبير عن أهدافهم واهتماماتهم الأكاديميّة والشخصيّة، والتعامل معها؟
٢١. ما الخطوات المحدّدة التّي ينفذّها المعلّمون كي يضمنوا لطلابهم تعلّمًا ممتعًا، وأصيلاً، بدلاً من التعلّم المملّ والمتكرّر؟

(يتبع)

تكملة / جدول ١٠

٢٣. كيف يلهم المعلّمون طلاّبهم لتوجيه أسئلة سابرة، وتفحّص وجهات نظر متعدّدة، والاعتماد على معايير معيّنة لصنع القرارات وتبريرها؟
٢٤. كيف يساعد البرنامج المدرسيّ الطلاّب على تعلّم المهارات الاجتماعيّة، تزامنًا مع الحفاظ على تفرّد شخصيّاتهم.
٢٥. هل سألني المعلّمون عن طفلي، وناقشوا معي الأفكار التّي أحملها عن اهتماماته، وأنشطته، وخبراته، وعلاقاته، ومشاعره إزاء المدرسة، وعن أفكاره خارج نطاق اليوم المدرسيّ؟

الخدمات التّي تقدّمها المدارس للأطفال الموهوبين

لم يتدرّب معظم معلّمي الصفوف العاديّة على كيفيّة التعامل مع الأطفال الموهوبين، من حيث خصائصهم، واختلافهم عن الآخرين، وكيفيّة تعلّمهم، وتنظيمهم. كما أنّهم لم يتعلّموا كيفيّة تنظيم الخبرات الصفيّة لهؤلاء الأطفال. ففي الولايات المتّحدة مثلاً، لا يطلب إلى المعلّمين، في معظم الولايات، دراسة مقرّرات تتناول كيفيّة التعامل مع الأطفال الموهوبين للحصول على إجازة تعليم[٤]. فالمعلّمون يحتاجون إلى تدريب على كيفيّة التعامل مع الأطفال الموهوبين تمامًا مثلما يحتاجونه للتعامل مع الطلاّب بطيئي التعلّم. ولا يستطيع المعلّمون، دون هذا التدريب التعرّف إلى الأطفال الموهوبين.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فنادرًا ما يعرّض المعلّمون -حتّى وإن كانوا مدرّبين جيّدًا-، الأطفال الموهوبين إلى قدْر كافٍ من التحدّي. إنّ ما يتكرّر حدوثه في صفوف هذه الأيّام هو أنّ المعلّم، على الرغم من حسن نواياه، ينشغل عادة بالطلاّب بطيئي التعلّم، أو كثيري المطالب، في حين ينخرط الطلاّب الأكثر ذكاء بأنشطتهم الخاصّة، ويفعلون ما يحلو لهم ما داموا لا يزعجون الآخرين." والأطفال الموهوبون الذين لا يحظوْن إلاّ باهتمام قليل من المعلّمين سوف يخيب أملهم في المدرسة، لاسيّما إن لم تقدّم لهم أعمالاً تتميّز بالتحدّي، فيتعلّمون أن يخفضوا من سرعتهم، ويكتفون ببذل أدنى جهد ممكن، منتظرين زملاءهم حتّى يتعلّموا المادة الجديدة. وهم بذلك لا يستعملون كامل طاقتهم، ولا يتعلّمون عادات جديدة في العمل. فعندئذٍ "تنطفئ" دافعيّتهم الطبيعيّة الفطريّة، ويصبحون متدنيي التحصيل، ويُحتمل أن يتسربوا من المدرسة الثانويّة، أو الجامعة لاحقًا.

وقد يجعلنا هذا الوضع نتساءل: ما مدى خطورة هذه المشكلة؟ يروي كثير من الطلاّب الموهوبين بعد أن بلغوا سنّ الرشد أنّهم لم يكونوا مضطّرين للدراسة أبدًا إلاّ بعد أن دخلوا المدرسة الثانويّة، وطلب منهم دراسة الهندسة، أو الكيمياء، أو التفاضل والتكامل. وعندما وصلوا إلى مرحلة تتطلّب المزيد من الدراسة وجدوا صعوبة بالغة في ذلك؛ لأنّهم كانوا قد اعتادوا على النجاح السهل دون أن يبذلوا أدنى جهد أو يفتحوا كتابًا. وعندما التحقوا بالجامعة، وجدوا صعوبة في التغلّب على

العادات السيّئة، ولهذا يفشل الطالب الموهوب في تطوير مهاراته الدراسيّة إن وُجد في موقف تعلّميّ سهل جدًّا؛ وسيصبح حتمًا متدني التحصيل.

ولكن يوجد، لحسن الحظّ، معلّمون مدرّبون جيّدًا، وملتزمون في التعامل الناجح والفعّال مع الطلاّب الموهوبين. فقد يكون لدى بعض هؤلاء المعلّمين فهمًا حدسيًّا للأطفال الموهوبين؛ لأنّهم ربّما كانوا هم أنفسهم موهوبين عندما كانوا أطفالاً. ويتعيّن حينئذٍ على الوالديْن اللذيْن يعتقدان أنّ معلّما معيّنا يناسب طفلهما، أن يطلبا منه تعليم هذا الطفل، مقدّمين تبريرًا مناسبًا لذلك، مثلما يتعيّن على المديرين أن يحترموا طلبات الوالدين إن كانت المبرّرات المقدّمة منطقيّة وسليمة. فالتربية المناسبة لا تعني أن يحصل كلّ طفل على خبرات تربويّة متماثلة، أو على خبرات مماثلة لما يحصل عليه الأطفال الآخرون. لكنّ التربية المناسبة، بدلاً من ذلك، هي تربية تلبّي الحاجات الخاصّة بالطفل. وعندما نجمع الطلاّب في صفوف بناءً على أعمارهم الزمنيّة، يجب ألاّ نفترض أنّ مهاراتهم واستعداداتهم متماثلة. فعلى سبيل المثال، قد يلبس طفل في الثانية من عمره قميصًا بحجم كبير، ولكنّ ذلك لا يعني أنّ كلّ طفل عمره سنتان يجب أن يلبس قميصًا بذلك الحجم. فلا بدّ أن يبحث الوالدان عن حجم القميص الذي يناسب طفلهما ويشتريانه. استرشادًا بهذا المثال، يتعيّن علينا أن نأخذ في الحسبان اعتبارات مماثلة في تربية الأطفال الموهوبين.

التمايز داخل غرفة الصفّ العاديّة

تستطيع المدارس تلبية الحاجات التعلّميّة للأطفال الموهوبين بعدّة طرق. تكمن إحداها في ما يسمّى **تمايز المنهاج والتعليم** الذي يعني أن يخطّط المعلّمون للموادّ، والمحتويات، والأساليب المختلفة التّي تناسب أنماط ومستويات المعلّمين كلّها، وتنظيمها، وتقديمها لهم في غرف الصف التّي تضمّ طلاّبًا مختلفي القدرات. إن معظم طلاّب الصف الثاني، مثلاً، يقرؤون الكتب المخصّصة لهذا الصفّ؛ لكنّ بعضهم يستطيع قراءة كتب الصفّ الأوّل فقط، وبعض الطلاّب المتقدّمين في القراءة يمكنهم قراءة كتب الصفّ الرابع أو حتّى الخامس. ولا شكّ في أنّ توفير موادّ قرائيّة مناسبة لكلّ هذه المستويات من القراءة يتطلّب من المعلّم بذل المزيد من الوقت والجهد، حيث يتعيّن عليه أوّلاً، أن يقيس مستوى القراءة عند الطلاّب جميعهم، ثمّ يبحث عن الكتب المناسبة لكلّ مستوى. ويستطيع قيّم مكتبة المدرسة، أو أيّ مستشار موهوب أن يساعد المعلّمين في العثور على موادّ المنهاج، وتوجد أيضًا مصادر أخرى يستطيع المعلّمون الاستفادة ممّا تحويه من أنشطة متمايزة.

ويقال إنّ المعلّم الذي يعدّل محتوى المنهاج، أو منتجاته بهذه الطريقة "يمايز" تعليمه، أو يجعله مناسبًا لحاجات الطلاّب المختلفة داخل الغرفة الصفيّة. كما يجب على المعلّم أن يهتمّ أيضًا بالتخطيط للأنشطة التّي يتوجّب على كلّ مجموعة من الطلاّب أن تمارسها عندما ينشغل بالعمل مع مجموعة معيّنة من هذه المجموعات الصفيّة. إنّ من الممكن أن يماثل المعلّم، من الناحية النظريّة على الأقلّ، بين التعليم، وبين المستويات المختلفة من القدرة والتعلّم. لكنّ البحوث تشير إلى أنّ مقدارًا طفيفًا فقط من تمايز التعليم يحدث للأطفال الموهوبين ما لم يكن المعلّم خبيرًا في هذا

المجال، ومدرّبًا على أساليب التعامل مع الطلاّب الموهوبين، وحاصلاً على دعم من الآخرين مثل المديرين والمعلّمين[٥]. فقد وجدت دراسة واسعة النطاق أنّ الطلاّب الموهوبين يتلقون تمايزًا في التعليم أو المنهاج بنحو (١٦٪) فقط من أنشطتهم[٦].

لقد تبنّت الرابطة الوطنيّة الأمريكية للأطفال الموهوبين *The National Association for Gifted Children- NAGC* موقفًا يشجّع المدارس على تزويد طلاّبها الموهوبين بتمايز المنهاج. وقد أوردنا بعض المقتطفات من هذه السياسة المتعلّقة بتوفير تربية مناسبة للأطفال الموهوبين في جدول ١١[٧].

جدول ١١: تمايز المنهاج والتعليم

- تختلف الحاجات التعلّميّة للأطفال الموهوبين، عادة عن حاجات غيرهم من الطلاّب ويجب تلبيتها بوساطة التمايز؛ أيْ تعديل المنهاج والتعليم بناء على التحصيل والاهتمامات التّي يتميّز بها كلّ واحد من الطلاّب.
- يتكوّن التمايز للأطفال الموهوبين من خبرات تعلميّة جيّدة التخطيط والتنسيق، وتمتدّ إلى أبعد من المنهاج المحوريّ لتلبي الحاجات التعلّميّة الخاصّة التّي يلاحظها المعلّمون على هؤلاء الأطفال.
- قد يتضمّن التمايز ما يلي:
  - تسريع التعليم
  - الدراسة المتعمّقة
  - درجة عالية من التعقيد
  - محتوى متقدّم و/ أو تنوّع في المحتوى والشكل
- تحدث المشكلات عندما يحاول المعلّمون تلبية حاجات الطلاّب الموهوبين من خلال حصر الخبرات العلمية في:
  - تقديم المستوى نفسه من المادة، أو النوع نفسه من المشكلات.
  - تزويد الطلاّب إما بالإثراء أو بالتسريع فقط.
  - التركيز على التطور المعرفيّ فقط، بمعزل عن النمّو الوجدانيّ، أو الجسميّ، أو الحدسيّ.
  - تعليم مهارات التفكير العليا (مثل، البحث أو النقد) بمعزل عن المحتويات الأكاديميّة الأخرى.
  - تقديم أعمال إضافيّة فقط لأنّها تختلف عن المنهاج الأساس.
  - تجميع الطلاّب مع نظرائهم في المستوى العقليّ دون أيّ تمايز في المحتوى والتعليم.

★ مقتطفات من الإعلان الذي تبنّته الرابطة الوطنيّة للأطفال الموهوبين لتمايز المنهاج والتعليم – بإذن مسبق من الرابطة (*NAGC, 1998*).

الخيارات المتوافرة للأطفال الموهوبين من البرامج المتاحة

حاولت المدارس استعمال طريقة أخرى لتلبية حاجات الطلاّب الموهوبين وذلك بوساطة بناء برامج خاصّة بالموهبة. وتستطيع أنت، بصفتك والد الطفل الموهوب، الاستفادة من معرفة خيارات البرامج المختلفة المتاحة لتربية الأطفال الموهوبين في أرجاء البلاد كافّة. فعند ذلك فقط تستطيع أن تقوّم البرنامج الذي توفّره مدرسة طفلك، وتحكم على مدى تلبيته حاجات طفلك التربويّة، وتقرّر ما إن كنت ستطلب مزيدًا من الخدمات الإضافيّة لهذا الطفل. وفيما يأتي وصف مختصر لهذه البرامج:

الإثراء *Enrichment*: ربّما يكون الإثراء أكثر التدابير التّي يتكرّر استعمالها في المدرسة لتلبية حاجات الأطفال الموهوبين. وقد يكون الإثراء عن طريق تعريض الأطفال لأفكار جديدة، أو التوسّع في بعض موضوعات المنهاج العاديّ، أو البحث في مفهوم معيّن بمزيد من العمق[٨]. ويشير الإثراء إلى منهاج تمّ تعديله بصورة ما، وذلك بإضافة مادّة دراسيّة جديدة في العادة، ويسمح للطلاّب باستكشاف قضايا مرتبطة بموضوع التدريس (وهو ما يسمّى «الإثراء الأفقيّ» *Horizontal Enrichment*، أو التعامل مع قضايا متقدّمة أصعب من الموضوع المثار (وهو ما يسمّى "الإثراء العموديّ")[٩] *Vertical Enrichment*.

وقد تفتقر بعض برامج الإثراء إلى الدقة والجوهر، أو إلى وضوح الأهداف، أو إلى استراتيجيّات تعليميّة محدّدة[١٠]. وفي هذا الصدد أشارت الدكتورة "باربارا كلارك" Barbara Clark «إلى أنّ كثيرًا من برامج الإثراء تفسَّر خطئًا على أنّها مجرّد مزيد من الواجبات والأعمال، وأحيانًا مقدارًا أكبر من العمل نفسه»[١١]. وعندما يتقن الطالب الموهوب، مهارة أو مفهومًا ما، فلا داعي أن نطلب منه أن يعيد هذا الإتقان عشرين مرة؛ حيث يعدّ ذلك عقابًا للطالب على موهبته.

فالإثراء، إذن، لا يعني إضافة مزيد من العمل؛ وإنّما يعني إضافة سعة أو عمق إلى المنهاج الذي يدرسه الطالب. وهو أبعد من المنهاج الأساسيّ، ويمكن فهمه على أنّه يمثّل "منهاجًا موازيًا" *Parallel Curriculum* [١٢]. فإن كان الطلاّب يدرسون عن القلاع الأوروبيّة في العصور الوسطى، مثلاً، فإنّهم قد يتعلّمون شيئًا عن التغيّرات التدريجيّة في تشييد القلاع، وعن الأسلحة الجديدة التّي اختُرِعت لمهاجمة أسوار هذه القلاع[١٣]. إنّ مفهومًا واسعًا مثل مفهوم «التغيّر» سيضيف سعة وعمقًا لأيّ وحدة دراسيّة؛ لأنّ التغيّر يحدث في المجالات كافّة. كيف تغيّرت القلاع بمرور الزمن؟ ما الذي أدّى إلى هذه التغيّرات؟ ما الأشياء التّي تغيّرت في مجتمعاتنا المعاصرة نتيجة التطوّرات الجديدة؟ إن هذه الأسئلة ومثيلاتها تشغل الطلاّب في مستويات التفكير العليا، وتوّفر للأطفال الموهوبين الكثير من المتعة[١٤].

الإثراء في غرفة الصفّ Enrichment in the Classroom: يمكن أن يقدّم جزء من الإثراء تكملة للخبرات الصفيّة العاديّة. فبعد أداء رقص جماعيّ يشترك فيه الصفّ كلّه، مثلاً، يمكن أن يستطلع عدد من الطلاّب الموهوبين المهتّمين بالموضوع الفكرة ذاتها بمزيد من العمق، مثل أن يقوموا بدراسة حول تلحين الأنغام الراقصة، وتدريب الراقصين، أو أن يعملوا على تلحين رقصاتهم الذاتيّة[١٥]. ومن الأمثلة الأخرى على الإثراء، حصص أيّام العطل الخاصّة، والبرامج الصيفيّة، والموضوعات الاستطلاعيّة التّي تناقش بين الدروس، ونوادي المواهب الخاصّة.

الإثراء باستعمال برامج المصادر Enrichment Using Resource Programs: تتكوّن الكثير من برامج الموهوبين في بعض المدارس من برامج إثرائيّة تقدّمها المدرسة وفقًا لنموذج: " السحب من الصفّ"، حيث يغادر الطلاّب، وفقًا لهذا النموذج، صفوفهم المعتادة لفترة محدّدة من الزمن، تتراوح عادة بين ساعة إلى أربع ساعات أسبوعيًّا، إلى غرفة يتفاعل فيها الطالب مع الطلاّب الموهوبين الآخرين بوجود معلّم متخصّص ومدرَّب على تربية الموهوبين. تقدّم هذه البرامج أنشطة إثرائيّة توسّع ما تعلّمه الطلاّب في الصفّ العاديّ، وقد يتعاون المعلّم المختّص مع المعلّم العاديّ؛ كي يطوّرا معًا أعمالاً تشعِر الطلاّب الموهوبين بالتحدّي داخل صفوفهم العاديّة[١٦]. ويقضي الطفل الموهوب، حسب هذا النموذج، معظم وقته في الصف العاديّ، ووقتًا قصيرًا نسبيًّا في برنامج المصادر.

ولكن، ثمّة بعض المشكلات في برامج المصادر، تتمثّل إحداها في أنّ الطلاّب الموهوبين هم موهوبون دائمًا، وليس فقط في الأيّام أو الساعات التّي يذهبون فيها إلى غرفة المصادر. وتتمثّل مشكلة أخرى في أنّ الناس الآخرين يفترضون أنّ المعلّم المتّخصص في تربية الموهوبين هو الذي يهتمّ بحاجاتهم كلّها. كما أنّ بعض المعلّمين يصرّون على أن يكمل هؤلاء الطلاّب جميع الأعمال والواجبات التّي فاتتهم في صفوفهم العاديّة نتيجة التحاقهم ببرامج المصادر، في حين يستاء معلّمون آخرون من إرسال طلاّبهم الأذكياء إلى خارج غرفة الصف؛ لأنّهم يساعدونهم على تعليم الطلاّب بطيئي التعلّم. فالمعلّمون الذين يتبنون هذه المعتقدات لا يستطيعون فهم حاجة الطلاّب الموهوبين لأن يكونوا مع زملائهم الموهوبين الآخرين بعض الوقت على الأقلّ، لأسباب أكاديميّة واجتماعيّة. من الأهميّة بمكان أن ندرك أنّ برامج المصادر لا تنجح إلاّ عندما يكون المعلّم العاديّ داعمًا ومتفهمًّا، ولا يصرّ على أن يكمل الطلاّب كلّ ما فاتهم بعد خروجهم من الصفّ العاديّ. بل يتولّى هو، أو أحد طلاّب الصفّ مساعدتهم على تعلّم المفاهيم الجديدة التّي عرضها في أثناء غيابهم، ليتمكّنوا من اللحاق بالطلاّب الآخرين. والمشكلة الأخرى في برامج المصادر هي أنّ المشاريع الطويلة صعبة التطبيق؛ نظرًا لقصر الوقت الذي يقضيه الطالب في غرفة المصادر. وقد تبيّن أنّ مستوى الدقة الأكاديميّة ينخفض عندما تكون المشاريع قصيرة المدى وسطحيّة؛ كي تتناسب مع الإطار الزمنيّ المتاح[١٧]. والمشكلة الأخيرة في هذه البرامج أنّ ما يحدث في غرفة المصادر لا يرتبط إلاّ قليلاً بما يجري في غرفة الصفّ العاديّة. فإن سئل الطفل عمّا فعله في الصفّ الخاصّ، فإنّه قد يجيب: "استمتعنا كثيرًا، وصنعنا عددًا من الصواريخ، ولكنّني لا أعرف السبب". لا بدّ إذن من تعاون معلّم الطلاّب الموهوبين مع معلّم الصفّ العاديّ، كي يستطيع أن يخطط لأنشطة إثرائيّة واسعة، ويبني على المنهاج العاديّ، ليتمكّن من مساعدة الطلاّب على تطوير عمليّات الربط.

بعيدًا عن تلك المآخذ الكثيرة، وجوانب القصور المتعدّدة فإنّ برامج المصادر لا تزال أكثر الخيارات شهرة واستعمالاً مع الطلاّب الموهوبين[١٨]؛ نظرًا لسهولة إجرائها، على ما يبدو، ووضوحها الشديد. فكلّ من في المدرسة يعلم بوجود معلّم خاصّ بالطلاّب الموهوبين. لكن من غير الشائع وجود برنامج مصادر بمعلّم إضافيّ متخصّص، لا سيّما إن كانت المدارس تعاني من ضائقة ماليّة. ولكنّها، على الرغم من ذلك، توفّر للطلاّب الموهوبين فرصة التفاعل مع طلاّب موهوبين مثلهم، مرّة واحدة في الأسبوع على أقلّ تقدير، فيشعر الطلاّب بقدْر من الدعم الانفعاليّ والاجتماعيّ. صحيح أنّ

برامج المصادر تقدّم للأطفال بضع ساعات أسبوعيًّا فقط، إلاّ أنّها تبقى أفضل من لا شيء. وقد تبيّن أنّ الأطفال الموهوبين الذين يشاركون في هذه البرامج يستمتعون بها، ويخبرون آباءهم غالبًا أنّ:"اليوم الذي أذهب فيه للمشاركة في برنامج الموهوبين هو اليوم الوحيد الذي أحبّه في المدرسة، وأكره المدرسة في الأوقات الأخرى كلّها".

تجميع الطلاّب حسب القدرة *Ability Grouping*: يمكن تنفيذ هذا النوع من التجميع بأشكال تنظيميّة متعدّدة، حيث يعمل المعلّمون في بعض البرامج على تجميع الطلاّب لحصة واحدة أو أكثر بناء على جوانب قوّتهم. وتسمّى هذه البرامج أحيانًا (برامج القراءة أو الرياضيات المتكاملة)، أو (التجميع وإعادة التجميع). فإن كانت درجات الاختبارات التّي يحصل عليها الطالب في هذه البرامج تعتمد على مقدار موهبته في كلّ من الرياضيات والقراءة، فإنّه ينضمّ إلى الطلاّب الموهوبين الآخرين في المجال الأكاديميّ الذي يمثّل جانب قوّته. لكنّ هذا البرنامج يولّد بعض المشكلات المتعلّقة بالجدول الدراسيّ في المدرسة؛ ويتعيّن على المدرسة لضمان نجاح هذا البرنامج أن تخصّص وقتًا محدّدًا يوميًّا لجميع الحصص المتعلّقة بموضوع دراسيّ معيّن. فقد تكون حصة القراءة لطلاّب الصفّ الثاني جميعهم، مثلاً، بين الثامنة والربع والتاسعة صباحًا. وينضمّ الطلاّب بطيئو القراءة إلى معلّمهم في أثناء هذا الوقت، في حين يذهب الطلاّب الموهوبون إلى معلّمهم، ويبقى المعلّمون الآخرون مع الطلاّب العاديين. وتكمن الفائدة من تجميع الطلاّب الموهوبين في أنّهم يشعرون بالتحدّي الأكاديميّ في المجالات التّي يبرعون فيها، وأنّهم يتجمّعون أيضًا مع طلاّب آخرين جدد، ومختلفين عن أقرانهم في الصفّ العاديّ فترة زمنيّة جيّدة في اليوم.

إضافة إلى هذا البرنامج، يوجد نموذج آخر يستعمل مع طلاّب المدارس الابتدائيّة والإعداديّة، يسمّى هذا النموذج، تجميع الطلاّب الموهوبين مع معلّم واحد. ويوضع الطلاّب، وفقًا لهذا النموذج، في صفوف خاصّة، أو في مجموعة خاصّة داخل الصفّ العاديّ بناءً على قدراتهم العالية. وتسمّى هذه الصفوف المبنية على المستويات العالية من القدرة مسميّات مختلفة في المدارس الإعداديّة والثانويّة؛ فتسمّى أحيانًا مقرّرات "التمهيد للجامعة" College prep.، أو "اللغة الإنجليزية المتقدّمة" Advanced English، أو التسكين المتقدّم Advanced placement [١٩]. وسوف نتحدّث تاليًا عن بعض النماذج الشائعة للتجميع حسب القدرة:

التجميع العنقوديّ Cluster Grouping: يشير التجميع العنقوديّ إلى إثراء مجموعة من الطلاّب الموهوبين في الصفّ العاديّ. وهذا إجراء فعّال من حيث الكلفة المطلوبة، حيث لا تحتاج المدارس إلى تعيين معلّم "إضافي". فإن كان في المدرسة أربع شعب من الصفّ الثاني، وفي كلّ صف خمسة وعشرون طالبًا، منهم اثنان موهوبان فقط، فإنّ الأطفال الموهوبين الثمانية يوضعون معًا في "مجموعة عنقوديّة" مع معلّم الصفّ الثاني الذي يتمتّع بتدريب جيّد للتعامل مع الأطفال الموهوبين. وتشترط المناطق التّي تستعمل هذا النموذج أن يكون معلّم هذه المجموعة حاصلاً على إجازة في تربية الموهوبين، أو يكون قد درس ما يقارب(١٨) ساعة معتمدة في تربية الموهوبين. وتشير البحوث إلى أنّ الطلاّب الموهوبين ينجحون عندما نجمعهم مع أطفال موهوبين آخرين[٢٠]. فهم يتفاعلون

معًا، ويشعرون بالحريّة، فيتصرّفون على سجيّتهم. وعلى النقيض من ذلك فإنّهم قد يشعرون بالعزلة ويحاولون إخفاء قدراتهم الحقيقيّة، إن وضعوا في صفوف تخلو من طلاّب يشبهونهم.

ثمّة من ينتقد تجميع الطلاّب حسب قدراتهم، بما في ذلك التجميع العنقوديّ، بداعي أنّه يكرّس مفهوم النخبة، من وجهة نظرهم، وبناء عليه، فإنّه غير ديمقراطيّ. لكنّنا إن فكّرنا في كيف أنّ تجميع الطلاّب وفقًا لمستوى المهارة والأداء يعدُّ أمرًا مقبولاً في مجالات أخرى، سنجد أنّ ذلك يبدو طبيعيًّا ومنطقيًّا. تأمّل الألعاب الرياضيّة مثل كرة السلة، وكرة القدم، وكرة الطاولة، والتمارين السويدية، وألعاب السباق، والتزلج على الجليد، وفرق التشجيع في المباريات. تعتمد هذه الرياضات كلّها عند اختيار المدرّبين على مستويات القدرة. كما أنّه لا ينظر إلى التجميع حسب القدرة على أنّه يكرّس مفهوم النخبة، أو أنّه غير ديمقراطيّ في مجالات أخرى غير الرياضة مثل، الفرق الموسيقيّة، وجوقات المنشدين، والقبول في الجامعات، واختيار الموظفين. وكثيرًا ما تحدث تجارب الأداء، في البرامج الموسيقيّة، في المقاعد الأماميّة والأداء المنفرد. ويخضع الطلاّب لاختبارات معيّنة قبل اختيارهم في فريق الجامعة (أو المدرسة) للعبة كرة السلة. ومن الملفت للنظر أن نعجب بطلاّب المدرسة الثانويّة الذين يحصلون على قبول للدراسة في أفضل الكليّات والجامعات، ولكنّنا لا نلتفت إلى هؤلاء الطلاّب أنفسهم عندما كانوا طلاّبا في المدرسة الابتدائيّة، ولا نعيرهم الانتباه الذي يستحقونه. فنحن، على ما يبدو، نريد أن يكون الطلاّب جميعًا "متساوين"، لكن من المقبول أن يكون الأطفال الكبار وطلاّب المدرسة الثانوية غير متساوين في نبوغهم وقدراتهم.

ومن المتوقّع وجود دلائل على أنّ الطلاّب الموهوبين ومرتفعي القدرة يحصلون على منافع أكاديميّة من البرامج التّي تزوّدهم بتعليم خاصّ بهم، ومنفصل عن الطلاّب الآخرين[٢١]. فقد تبنّت الرابطة الوطنيّة للأطفال الموهوبين (NAGC) لوائح تسهّل على الطلاّب التعلّم الذي يوفّر لهم قبل غيرهم. ويوضّح الجدول (١٢) مقتطفات من اللوائح التّي تبنتها هذه الرابطة.

خيارات التسريع: يمكن أن نستعمل المصطلح "تسريع" لوصف نموذجين تربويين هما:

١. تسريع المنهاج، بمعنى دفع الطفل بسرعة أكبر في دراسة موضوع ما.

٢. تسريع التسكين، بمعنى نقل الطالب إلى صفّ أعلى، أو نقل الطالب إلى صفّ أعلى في مادّة دراسيّة واحدة (وهو ما يسمّى تسريع المادّة الواحدة) للسماح له بدراسة منهاج أكثر تطوّرًا، لكنّه هو المنهاج المناسب. وفي كلتا الحالتّين تكون أهداف التسريع هي "تكييف سرعة التعليم وفقًا لقدرات الطالب، وتزويده بمستوى ملائم من التحدّي، وتقليل الفترة الزمنيّة اللازمة للانتهاء من التعليم التقليديّ"[٢٣].

جدول ١٢: التجميع حسب القدرة والتسريع[٢٣]

- يسمح التجميع بتحقيق المزيد من التعليم الملائم والسريع والمتقدّم، بما يتناسب مع المهارات والقدرات التّي تتطوّر سريعًا عند الطلاّب الموهوبين.
- توجد أدلّة قويّة من البحوث تدعم فاعليّة تجميع الطلاّب الموهوبين حسب قدراتهم في صفوف التسريع، وبرامج الإثراء، وبرامج التسكين المتقدّمة، الخ. وقد استُعمل التجميع حسب القدرة والأداء، دون أيّ انتقادات تذكر، في البرامج الخاصّة بالطلاّب الموهوبين في الموسيقى، والفنّ، والرياضة. فالتجميع عنصر ضروريّ لكلّ من يتخرّج من الجامعة، ولبرامج الإعداد المهني، مثل القانون والطب والعلوم. وهو ممارسة مقبولة تستعمل على نطاق واسع في البرامج التربوية في معظم بلدان العالم الغربيّ تقريبًا.
- لقد استعملت ممارسات التسريع التربويّ، منذ أمد طويل، للمواءمة بين فرص التعلّم المناسبة وبين قدرات الطلاّب.
- على الرغم من أنّ محاولات تكييف التعليم، مثل ضغط المنهاج، أو مراجعة المنهاج التّي تسمح بالاقتصاد في استعمال الوقت، تعدّ ممارسات مرغوبة في تربية الطلاّب الموهوبين، إلاّ أنّ هذه التعديلات لا تكفي في بعض المواقف لتلبية الإمكانات الأكاديميّة للأطفال المتميّزين والمتفوّقين جميعهم. فلا بدّ في مثل هذه الحالات من اللجوء إلى التسريع الشخصيّ.
- توثّق كثير من البحوث الفوائد الأكاديميّة، والنواتج الإيجابيّة للتسريع الشخصيّ مع الطلاّب الذين نختارهم بعناية.

وتتضمّن أمثلة التسريع في تسكين الطلاّب: الدخول المبكّر إلى الروضة، أو إلى المدرسة الثانوية أو الجامعة، أو الانتقال إلى صفّ أعلى، أو تسريع المادّة الواحدة، مثل السماح بتسريع الطالب في الرياضيّات، وليس في القراءة مثلاً[٢٤]. وعلى الرغم من الفوائد العديدة لتسريع الأطفال الموهوبين مثلما أثبتت نتائج البحوث، إلاّ أنّ كثيرًا من المربين يتحفظون على أشكال التسريع جميعها، مقتنعين أنّ الطلاّب يجب أن يبقوا دائمًا ضمن مجموعتهم العمريّة[٢٥]. وثمّة عوامل كثيرة يجب أن تؤخذ في الحسبان في الحالات الفرديّة[٢٦]، ولكن"لا توجد أيّة دراسة حتّى اللحظة أثبتت أن التسريع يضرّ بالتطوّر الاجتماعيّ والانفعاليّ للطفل"[٢٧]. بل إنّ معظم الدراسات بيّنت، في حقيقة الأمر، أنّ الطلاّب الذين سُمح لهم بالتسريع، سواء بالدخول المبكّر إلى المدرسة، أم بتخطّي بعض الصفوف، أم بضغط المنهاج، أم بالدخول المبكّر إلى الجامعة، استمتعوا بهذه الخبرات واستفادوا منها[٢٨].

تستعمل كثير من المدارس التّي تسمح بالدخول المبكّر، أو تخطّي صفّ كامل مقياس آيوا للتسريع *Iowa Acceleration Scale* لمساعدة الوالدين والمربين على اتّخاذ قرارات تتعلّق بالوقت المناسب للتسريع. وقد صُمّم هذه المقياس؛ كي يستعمله فريق من الأشخاص الذين يدرسون حالة الطفل؛ فيساعدهم على توجيه النقاش حول إمكانيّة السماح لذلك الطفل بنمط معيّن من التسريع.

كما أنّه يعدّد بعض الظروف التّي يجب فيها عدم استعمال التسريع. ويعتمد تصحيحه على أسئلة وإجابات من قبل العائلات والمربين، ممّا يسمح بالتفكير المنظّم في كلّ عامل من العوامل التّي بيّنت البحوث أهميّته للدخول المبكّر الناجح، أو التخطّي الناجح لصفّ أو أكثر[٢٩]. وعندما يجيب الفريق المكوّن عادة من والدي الطفل ومعلّميه عن الأسئلة، تُستخرَج درجة رقميّة تشير إلى احتماليّة النجاح فيما لو استعمل التسريع القائم على تخطي صفّ دراسيّ كامل. ويكمل الفريق نموذجًا ملخصًا يوضّح القرار الذي التوصل الفريق إليه، ويحدّد الشخص المسئول عن تنفيذ الخطة الجديدة، ثمّ يحفظ هذا النموذج في الملف التراكميّ للطالب؛ لغايات توثيقه والعودة إليه مستقبلاً كلّما لزم الأمر. وتشير البحوث المبنيّة على مقياس آيوا للتسريع إلى أنّه كلّما كان الطفل أصغر سنًّا عند التسريع، كانت النتيجة لصالح هذا الطفل[٣٠].

وتوجد أنواع أخرى من التسريع تشمل "ضغط المنهاج" *Curriculum Compacting* "والاختزال والتكثيف" *Telescoping*. حيث يتمّ في هذه الطرق إنهاء المادّة الدراسيّة بوقت أقلّ، وباستعمال التعلّم المعتمد على سرعة الطفل نفسه[٣١]. ويبدو أنّ كثيرًا من الآباء ليسوا على دراية بأنّ مستويات صعوبة الكتب المدرسيّة قد تدنت بمقدار صفّين دراسيّين خلال العشر أو الخمس عشرة سنة الماضية[٣٢]. وبناءً على ذلك، فإنّ تسريع المنهاج يعدّ ضروريًّا للطلاّب سريعي التعلّم، حيث يزدهر تعلّم الطلاّب الموهوبين بوجود هذه الخيارات. وعندما يصل الطلاّب المدرسةَ الثانويّة، فإنّ تسريع المنهاج يسمح لهم بكسب وقت يستطيعون الاستفادة منه في مهامّ أخرى، مثل المشاركة في بعض الأنشطة، أو التدريب على استكشاف المهن والوظائف، أو قضاء فصل دراسيّ في الخارج، أو دارسة مقرّرات بالمراسلة.

غير أنّ خيارات تسريع المنهاج لا تخلو من المشكلات. فقد يواجه بعض الطلاّب صعوبات في ضبط الذات لاسيّما في التعلّم المعتمد على سرعة الطفل. وقد يرفض المعلّمون أن يخصصوا وقتًا إضافيًّا للتخطيط لتسريع المحتوى، أو لتسريع مقرّرات تعليميّة تعتمد على سرعة الطفل في التعلّم. وقد يكون معلّمو الصفوف الدراسيّة العليا غير سعداء عندما يدرس طلاّب الصفّ الثالث مثلاً، الكتب المقرّرة لصفوف دراسيّة عليا؛ لأنّ ذلك يعني أنّ المعلّمين الذين يأتون بعدهم سوف يستمرّون في التسريع عندما يلتحق الطلاّب بالصفوف التّي يعلّمونها. ويبدو أنّ معظم المشكلات الخاصّة بالتسريع ترتبط باهتمامات المعلّمين أكثر من ارتباطها بتعلّم الطلاّب. ويستطيع الطلاّب الموهوبون أن يتعلّموا، بكلّ سهولة، المادّة المقرّرة لصفّ أو أكثر أعلى من صفّهم. فالتسريع الناجح يتحقّق عندما تشتمل الصفوف الأعلى من الصفّ الراهن على تفصيل واضح للمحتوى المقرّر في هذه المستويات[٣٣].

صفوف التسكين المتقدّم Advanced Placement Classes: يشارك كثير من طلاّب المدارس الثانويّة الأذكياء، الذين يخطّطون للدراسة الجامعيّة في برنامج التسكين المتقدّم الذي ينظّمه مجلس الجامعات الأمريكيّة *American College Board*. ويوفّر هذا البرنامج أكثر من ثلاثين مقرّرًا في ميادين متعّددة، تشمل كلّ شيء تقريبًا، ابتداءً من تاريخ الولايات المتحدة، إلى الفيزياء، والأدب الإنجليزي، والتفاضل، والفن، واللغة الإسبانيّة بثلاثة مستويات، ونظريّة الموسيقى. وتهيئ هذه الصفوف الخاصّة

للطلاّب مرتفعي الدافعيّة فرصًا للدراسة على مستوى الجامعة، في الوقت الذي لا يزالون فيه ملتحقين بالمدرسة الثانويّة. وقد ذكرت مجلة "نيوزويك" *Newsweek* في موضوع غلافها الذي حمل عنوان :"ما الذي يجعل المدرسة الثانويّة مدرسة عظيمة؟ "أنّ المدارس الثانويّة التّي خرّجت أفضل الطلاّب تعليمًا، هي تلك التّي كانت تقدّم لهم مدى واسعًا من مقرّرات التسكين المتقدّم؛ كي يختاروا منها".

وتصمّم مثل المقررات - التّي هي على مستوى الجامعة- للطلاّب الذين يطمحون إلى تحدٍّ أكاديميّ. ويتلقى المعلّمون تدريبًا في محتوى هذه المقرّرات من خلال ورش عمل مكثّفة تعقد في عطلة نهاية الأسبوع، أو في العطلة الصيفيّة، ويعمل مجلس الكليّة على تمويلها، ويشرف على التدريب معلّمون خبراء في مجال التسكين المتقدّم. حيث يتقدّم الطلاّب الذين سيدرسون هذه المقرّرات لامتحانات على مستوى البلاد تعقد في شهر مايو من كلّ عام. ويحصلون، بناءً على درجاتهم في هذه الاختبارات، على مجموعة من مقرّرات الجامعة، أو على قبول في مستوى متقدّم، أو كليهما في عدد من الكليات والجامعات[٣٥]. وقد يتمكّن بعض الطلاّب الذين تحسب لهم بعض المقررات من دخول الجامعة بعد أن يُعفَوْن من فصل دراسيّ، أو فصلين دراسيين في هذه الجامعات. وتتوافر هذه الأيّام برامج تمهيديّة للتسكين المتقدّم لطلاّب المرحلة الإعداديّة العليا، والصفّ التاسع تمهّد لحصولهم على مقرّرات للتسكين المتقدّم في المدرسة الثانويّة[٣٦] حيث يكتسب التسريع من خلال هذه الصفوف المتقدّمة شهرة واسعة هذه الأيّام.

البكالوريا الدوليّة: International Baccalaureate: برنامج البكالوريا الدولية IB هو برنامج فعّال بشكل خاصّ للمراهقين الذين يُبدون قدرات عالية في الصفوف من العاشر حتّى الثاني عشر[٣٧]. وتحظى الشهادة التّي يحصل عليها الطالب من هذا البرنامج بتقدير عالٍ من الكليّات والجامعات النخبويّة في أرجاء العالم كافّة. لقد هدف البرنامج، في بداية الأمر، إلى خدمة أبناء السفراء والأشخاص المميّزين الآخرين الذين يعيشون خارج بلادهم. أما الآن، فتوجد مدارس ثانويّة كثيرة في الولايات المتّحدة وكندا يُسمح لها بالمشاركة في هذا البرنامج. ويوصف منهاج هذا البرنامج بأنّه قويّ جدًّا حيث يكلّف الطلاّب بإكمال مشروع بحثيّ أصيل موسّع، وكتابة مقال تفصيليّ من ٤٠٠٠ كلمة، ودراسة مقرّر في نظرية المعرفة، وإكمال مشروع قائم على الإبداع والنشاط والخدمة الاجتماعيّة، وتحقيق معايير التحصيل الدولية في ستّ موادّ دراسيّة. يوزّع الطلاّب في هذا البرنامج على ميادين دراسيّة متعدّدة، ولا يسمح لهم بالتخصّص في موضوع دراسيّ واحد. ويدمج المستوى العالي من التحصيل المتوقّع مع اهتمام عالميّ بمقرّرات الدراسات الاجتماعيّة، إلى جانب إتقان لغة ثانية غير اللغة الأم[٣٨]. ولا تقدّم كلّ مديريات التربية هذا النوع الدوليّ من البرامج. أما المديريات المديريّات التّي تقدّمه فيتعيّن عليها أن توافق على معايير صارمة للمقرّرات، وتشتري تجهيزات إضافيّة لتوفير التجارب العمليّة المطلوبة في البيولوجيا والكيمياء والفيزياء. ويتعيّن على الوالدين الراغبين بهذا البرنامج البحث عن المدارس التّي توفّره لطلاّبها.

برامج البحث عن المواهب: Talent Search Programs: تتوافر برامج البحث عن المواهب الآن في عدد من الجامعات في أرجاء الولايات المتحدة. فكثيرًا ما يُدعى طلاّب المدارس الإعداديّة الموهوبون،

الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٤ سنة لاختبارات الاستعداد، مثل اختبار الاستعداد المدرسي Scholastic Aptitude Test-SAT واختبار الدخول الجامعي American College Testing-ACT جنبًا إلى جنب مع طلاّب المدارس الثانويّة. ويستطيع الطلاّب الذين يحصلون على درجات مماثلة لدرجات طلاب المدرسة الثانوية على هذه الاختبارات أن يشاركوا في دراسة برامج متقدّمة في الرياضيات، وتطبيقات الحاسوب، وعلم النفس، وعلم الإنثروبولوجيا، والعلوم البحتة، الخ، التّي تعقد في دورات صيفيّة في بعض الجامعات. كما يتمكّن بعض الطلاّب من إكمال ما يعادل دراسة خمس سنوات أكاديميّة في مقرّر الرياضيّات الذي يمهد للتفاضل، في دورة صيفيّة مكثّفة واحدة[٣٩]. ويمكن أن تجد قائمة من برامج البحث عن المواهب في كتاب: إعادة تشكيل تربية الموهوبين: كيف يزاوج المعلّمون والآباء بين البرنامج والطفل[٤٠] *Re-Forming Gifted Education: How Can Parents and Teachers Match the Program to the Child*.

أو بوساطة البحث في مواقع الشبكة المعلوماتيّة(الإنترنت). ومن المحتمل ألاّ تكون برامج البحث عن المواهب خيارًا ملائمًا لكلّ طفل موهوب، ولكنّها يمكن أن تنقذ بعض الأطفال الذين يحتاجون إلى التحدّي.

الخيارات المدرسيّة

المدارس الخاصّة بالأطفال الموهوبين *Self-Contained Schools for Gifted Children*: وجِدت المدارس الخاصّة بالراشدين الموهوبين منذ عدّة عقود. إنّها كليّات الطب، والقانون، والكليّات الجامعيّة الأخرى مثل مدرسة "جولياردّ" للموسيقى *Juilliard School of Music*. وتوجد أيضًا كثير من المدارس الخاصّة التّي تلتزم بالمناهج الصارمة لإعداد الطلاب للالتحاق بالكليات والجامعات. وتنظّم بعض الولايات دورات صيفية تعرف بمدارس الحاكم *Governor's school*، ومدارس خاصّة أخرى مثل مدرسة (إلينوي) للعلوم والرياضيات.

لقد تطوّرت بعض هذه المدارس، مثل مدرسة "برونكس" للعلوم، إلى "مدارس جاذبة" *Magnetic Schools*، تركّز على مجال تخصصيّ واحد، وتحاول جذب الأطفال المهتّمين بذلك المجال، أو الموهوبين فيه. ولكلّ من هذه المدارس تقريبًا متطلّبات أو معايير للدخول إليها، إضافة إلى قوائم انتظام للطلبة المقبولين، وقد يشعر الوالدان بالقلق إزاء دراسة طفلهما في مثل هذه المدارس، خشية ألاّ يكون مستوى نظرائه واسعًا بما يكفي لدعم نموّه الاجتماعيّ. لكنّ ذلك القلق لا مبرّر له في العادة، حيث تشير الدلائل إلى أنّ هذه البرامج ساعدت الفتيات الموهوبات، والشباب الموهوبين على الإنجاز الأكاديميّ المتميّز دون أن تترك أيّ آثار ضارّة عليهم في حياتهم اللاحقة[٤١].

المدارس المرخّصة *Charter Schools*: هذه عادة ما تكون مدارس ابتدائية أو ثانوية تتلقى تمويلاً حكوميًّا وتبرعات خاصة ولا تأخذ رسومًا من الطلاب، كما لا تخضع لبعض القوانين المطبّقة في المدارس الحكومية. ظهر هذا النوع من المدارس في بعض الولايات المتحدة؛ كي تزوّد الوالدين بمزيد من الخيارات التّي تتعلّق بتعليم أطفالهم، وهي مدارس تمثّل محاولة لتوفير خيار مدرسيّ إضافيّ – وهو

البديل غير الديني لمدراس التعليم العامّ. وتعمل الولاية، مثلما هو الحال في المدارس الحكوميّة، على تمويل هذه المدارس التّي هي دائمًا أصغر حجمًا من المدارس الحكوميّة. وهي تكتسب شهرة واسعة بين الآباء والأمّهات الذين يشعرون أنّ حاجات أطفالهم ستلبّى على نحو أفضل في مدرسة صغيرة، حيث يعرف المعلّمون الطلاّب جميعهم. ولا نزال ننتظر لنرى كيف ستؤثّر هذه المدارس في التعليم العامّ على المدى البعيد. ويبدو أنّ هذه المدارس المرخّصة التّي يمكن أن تتأهّل لنيل لقب مدارس «الموهوبين» هي التّي تتخّصص في الفنون، أو تركّز على الرياضيات، أو العلوم.

المدارس المرخّصة والدينية: *Private and Parochial Schools*: مع أنّ المدارس المرخّصة والدينية تواجه المشكلات ذاتها التّي تواجهها المدارس الحكوميّة، إلاّ أنّها تمتلك عادة ميزانيّة أكبر تنفقها على كلّ طالب. وتصبح نتيجة ذلك مدارس مكلّفة جدًّا. وينبغي أن يعي الوالدان أنّ هذه المدارس يمكن أن تكون انتقائيّة بخصوص الطلاّب الذين تقبلهم، حيث يمكنها أن ترفض خدمة الطلاّب ذوي الحاجات النفسيّة أو المعرفيّة الخاصّة مثلاً. كما أنّ كثيرًا من هذه المدارس تبني سمعتها على المنهاج الصارم والدقيق الذي تتبنّاه، وبناءً على ذلك، فإنّه يتعيّن على الوالدين بذل جهد واضح في البحث عن المدرس المناسبة للطفل، حيث يوجد لكلّ مدرسة مجموع متفرّد من جوانب القوّة وجوانب الضعف. ثمّة مدارس حكوميّة توّفر للطلاّب تحدّيًا أكبر ممّا توفّره المدارس الخاصّة. وتعتمد ملاءمة المدرسة للطلاّب الموهوبين على فلسفة المدرسة، وعلى رغبة الأفراد في هذه المدرسة على أن يكونوا مرنين ومتعاونين مع الوالدين.

تعليم الأطفال في المنزل: *Home Schooling*: إنّ إرسال الأطفال إلى المدرسة الحكوميّة هو الأمر الشائع منذ القِدم؛ ولكنّ تعليم الأطفال في المنزل أصبح يتزايد هذه الأيّام، وتسمح به الولايات كافّة، سواء بالقانون أم بقرارات من المحكمة[٤٢]. وقد يختار الوالدان التعليم المنزليّ لأسباب دينيّة، أو لأنّهم قلقون فيما يتعلّق بسلامة أطفالهم، أو بسبب الفروق بين المدرسة والمنزل في القيم والمعايير الأخلاقيّة. وتعكف أعداد متزايدة من العائلات على تعليم أطفالها الموهوبين في المنزل؛ لأنّ أساليب التعلّم المميّزة للأطفال لا تتلاءم مع ما يقدّم في المدارس الخاصّة أو الحكوميّة. فإن كنت تفكّر في تعليم طفلك في المنزل، فإنّنا نقترح عليك أن تجمع ما يمكنك جمعه من معلومات حول هذا الإجراء قبل أن تبدأ بتنفيذه؛ كي تعرف ما يمكن أن تتوقّعه. وتوجد عدّة نماذج رئيسة من التعليم المنزليّ، مثل النموذج الكلاسيكيّ، والتقليديّ،"وعدم إرسال الطفل إلى المدرسة"، والنماذج الدينيّة، ومنحى الموضوع المتخصّص[٤٣].

يعدّ التعليم المنزليّ مهمّة صعبة، ويمكن أن تشغل وقت الوالدين كلّه. وتفرض معظم وزارات التربية والمناطق التعليميّة متطلّبات معيّنة على الوالدين الراغبين بالتعليم المنزليّ. وبالرغم من التحديات والصعوبات، يرى خبراء التعليم المنزليّ أنّ هذا الخيار التربويّ يسهم في تقريب أفراد العائلة من بعضهم. وتوثّق الجامعات نجاحًا كبيرًا للطلاّب الذين تعلّموا في منازلهم، فتجد أنّهم أكثر دافعيّة، وأكثر انضباطًا، ويتميّزون بمهارات اجتماعيّة متفرّدة. وقد يكون من المفيد أن يراجع الوالدان المهتّمان بهذا الخيار التربويّ كتاب "ليزا ريفيرو" Lisa Rivero التعليم المنزليّ الإبداعيّ: دليل العائلات الذكية

Creative Home Schooling: A Resource Guide for Smart Families.

فيما يأتي بعض النصائح المقدّمة للوالديْن الراغبيْن بالتعليم المنزليّ، والتّي اقتبست بتصرّف من كتاب «نانسي جونسون» Nancy Johnson وجوه الموهبة [٤٥] *The Faces of Gifted*:

- ابذل أقصى جهدك في الاستدلال على المعلومات والإرشادات التّي تفيدك في مجال التعليم المنزليّ. ابدأ البحث في المكتبة العامّة في منطقتك، ثمّ اتّصل بعد ذلك بالمؤسّسات المحليّة والإقليميّة والوطنيّة.
- تحدّث إلى الآباء الذين يعلّمون أطفالهم في منازلهم في الوقت الراهن.
- ناقش رغبتك في تعليم طفلك في المنزل مع المسئولين في المدرس القريبة؛ كي تتعلّم منهم الخطوات المحدّدة التّي يتعيّن عليك اتّخاذها.
- حسّن مهاراتك الخاصّة فيما يتعلّق بالتعليم المنزليّ، بوساطة دراسة مقرّرات حول الموضوع في الجامعة القريبة منك.
- تأكّد إن كان لدى طفلك حاجات خاصّة مثل، صعوبات التعلّم، ثمّ فكّر بالكيفيّة التّي ستلبّي بوساطتها هذه الحاجات.
- اجمع عيّنات من الموادّ التعليميّة بُغيةَ مراجعتها وتقويمها.
- اتّفق مع طفلك على أهداف التعليم المنزليّ وغاياته.
- فكّر جيّدًا في خيار التعليم المنزليّ، ليس لمصلحتك فقط، وإنّما لمصلحة الآخرين الذين يتبنّونه أيضًا.
- كن شجاعًا، وافعل ما فيه مصلحتك ومصلحة أطفالك.

حرّيّة الوالدين في الاختيار

يستطيع الوالدان أن يختارا المدرسة التّي سيلتحق بها طفلهما، وأن يلتمسا الفرص التربويّة التّي تلائم طفلهما في تلك المدرسة. فهما، على الأغلب، يعيان مقدار ما يملكانه من حرّيّة الاختيار، حيث يمكنهما الموافقة على البرامج التّي تقدّمها المدرسة، أو رفضها.

وتتبنّى المجتمعات المحليّة الكبيرة عادةً سياسة القبول المفتوح، حيث يلتحق الطفل بأيّة مدرسة في المنطقة التعليميّة إن توافر متّسع له فيها، كما يستطيع الوالدان أن يختارا مدرسة خاصّة أو مدرسة دينيّة، لكنّه يتعيّن عليهما دفع الرسوم المقرّرة، ويتولّى الوالدان معظم الأحيان تأمين المواصلات لأطفالهما. ويمكنهما اختيار منطقة تعليميّة أخرى فينتقلون جميعهم للعيش في هذه المنطقة، أو ينقلون طفلهما إليها. ومن الممكن أن يختار الوالدان التعليم المنزليّ أيضًا.

وعلى الرغم من وجود حرّية الاختيار، إلاّ أنّ الوالدين يبلّغان في معظم الأحيان أن عليهما الالتزام بما تقدّمه المدرسة من برامج، لاسيّما إن كانت المنطقة التعليميّة تضمّ مجتمعًا محليًّا صغيرًا. ولكن

هناك خيارات متعدّدة متاحة للعائلات، حتّى في المجتمعات الملحيّة الصغيرة، إن كانت ترغب في الدفاع عن حقوق أطفالها[٤٦].

قد يطلب الوالدان، مثلاً، أن تسمح المدرسة لطفلهما بدراسة مزيد من المقرّرات المتقدّمة في الرياضيات بناءً على نتائج "اختبارات" معيّنة، أو رغبة منهما في إثبات أنّ طفلهما يتقن المفاهيم الأساسيّة التّي يتناولها مقرّر الرياضيات في صفّه الراهن. وقد تسمح المدرسة في هذه الحالة بأن يدرس الطفل كتاب الرياضيات للصف الأعلى من صفّه الحالي، أو تسمح له بالانضمام إلى صفّ متقدّم في مادّة الرياضيات، ثمّ العودة إلى الصف العاديّ بقية اليوم الدراسيّ. لا شكّ في أنّ مثل هذا الخيار المرن لا يكلّف المدرسة أيّة أعباء ماليّة إضافيّة، ولا يلفت سوى قليل من الانتباه ممّا لا يسبب مشكلات مع الطلاّب الآخرين. إن كلّ ما يحتاج إليه الطفل هنا هو دعم فلسفيّ من المعلّمين والإداريين في المدرسة، وإن كان متميّزًا في مجالات متعدّدة، فقد تسمح له المدرسة بتخطّي صفّ واحد بأكمله، والانتقال إلى الصفّ الذي يليه. لقد كان هذا النّوع من المرونة هو الأمر المعتاد في مدارس الغرفة الواحدة التّي كانت سائدة في زمن أجدادنا وآباء أجدادنا. فقد كان يسمح للطلاّب بدراسة أيّ موضوع، أو مستوى يقع ضمن اهتماماتهم. وكان المعلّم يعدّل من المنهاج المقرّر، ويسمح للطلاّب سريعي التعلّم بالتقدّم في هذا المنهاج كلّ وفق سرعته ونشاطه.

ويتعيّن على الوالدين عند اختيار مدرسة طفلهما، التأكّد من نهج تلك المدرسة في السماح بالمرونة في الاختيار، إلى جانب قدرتها على توفير خيارات تسمح للطلاّب بالتقدّم إلى الأمام في تعلّمهم عندما يكونون مستعدّين لذلك. والدراسة المرنة قد تعني أن يَحضر طالب الصفّ الأوّل درس القراءة مع طلاب الصفّ الثالث، ولكنّه يبقى في الصفّ الأوّل بقية اليوم. وقد تعني أيضًا أن يَحضر طالب الصف السادس، أو السابع الموهوب درس العلوم، أو الرياضيات، أو كليهما مع طلاّب المدرسة الثانويّة، ثمّ يعود إلى صفّه بقيّة الحصص. وتستعدّ الإدارة المدرسيّة والمعلّمون في هذا التعليم المرن، لتوفير ما يلزم لتلبية حاجات الطالب الموهوب قدْر المستطاع، وبما يتوافر لهم من مصادر في مدرستهم. توجد إذن عدّة خيارات محتملة، ومن المهمّ اختيار أفضل ما يلائم استعدادات الطالب وحاجاته، حيث يتعيّن على المدرسة يوميًّا أن تأخذ في الحسبان الحاجات التربويّة الفريدة لكلّ طالب موهوب من طلاّبها[٤٧].

ويتعيّن على الوالدين، في أثناء بحثهما عن مدرسة أو صفّ ملائم لطفلهما الموهوب، أن يتوقعّا من المعلّمين ما يأتي:

- أن يقدّموا للطلاب مادّة جديدة لم تسبق لهم معرفتها.
- أن يتّسموا بالمرونة في تعاملهم مع الطلاّب.
- أن يتوقّعوا أنّ الطالب لن يكون موهوبًا في الميادين كلّها.
- أن ينتبهوا جيّدًا للطالب، لكن ليس إلى الحدّ الذي يبقيه مقيّدًا.
- ألاّ يشعروا بأنّ عليهم أن يكونوا موسوعات متنقّلة.

- ألاّ يقلّلوا من شأن الطلاّب عندما يفشلون، أو يقعون في الخطأ.
- ألاّ يرفعوا من شأن أعمال الطلاّب الموهوبين عاليًا، ليقارنوها بأعمال غيرهم من الطلاّب الأقلّ قدرة منهم.
- ألاّ يستغلّوا نبوغ الطلاّب الموهوبين، فيستعملونهم مدرسين خصوصّيين، أو مساعدي معلّمين.

جمع المعلومات عن برنامج الموهبة

توجد عدّة طرق تستطيع بوساطتها أن تجمع معلومات عن مدرسة طفلك. فيمكن أن تتحدّث مع غيرك من الآباء، أو أن تحضر اجتماعات ومؤتمرات المعلّمين وأولياء الأمور، أو تبحث عن مجموعة الآباء المؤيّدين لمطالب أطفالهم، إن وجدت. ويمكنك أن تتطوّع للتعليم في الصفّ الذي يدرس فيه طفلك، إن سمح وقتك بذلك، حيث يستطيع الوالدان اللذان يساعدان في التعليم الصفيّ أن يراقبا الدروس مراقبة فعليّة، فيلاحظان إن كان الطلاّب يكلّفون بواجبات مختلفة، أم أنّهم جميعًا يكلّفون بواجب واحد في الوقت ذاته. ويتسنّى لك عندئذٍ مشاهدة الكيفيّة التّي يتفاعل بها طفلك مع غيره من الطلاّب، ومع المعلّم، أن تكتشف إن كانت الواجبات مكيّفة لملاءمة مستوى قدرة كلّ طفل في الصفّ. ستكون متحفّظًا طبعًا؛ لأنّ هدفك الرئيس هو مساعدة المعلّم، لكنّك ستتمكّن أيضًا من التحدّث مع المعلّم والمدير على نحوٍ غير رسميّ فيما يتعلّق باهتمامات طفلك ومهاراته. وربّما تُطوّر بمرور الزمن، ثقة كافية بالمعلّم تسمح لك باقتراح وظائف أخرى أكثر تحدّيًا يكلّف المعلّم بها طفلك والأطفال الآخرين سريعي التعلّم في صفّه.

وفي أثناء ملاحظة ما يجري في صفّ طفلك، قد تسأل نفسك الأسئلة التالية: هل هذا المعلّم يفهم حقًّا كيفيّة التعامل مع الطلاّب الموهوبين، ويستمتع بذلك؟ هل المعلّم مدرّب على كيفيّة التعامل مع الطلاّب الموهوبين؟ هل يفهم مدير المدرسة ومجلس التربية الخيارات المرنة في تعليم الموهوبين، ويدعمون هذه الخيارات؟ وممّا لا شكّ فيه أنّ فرصًا تربوية رائعة تتحقّق للأطفال الموهوبين عندما يتوافر لهم التدريب المناسب، والدعم الإداريّ للخيارات المرنة المتبعة في تعليم الموهوبين.

وبالإضافة إلى ذلك، ثمّة إجراءات أخرى يمكن أن يتّخذها الوالدان كي يعرفا مدرسة طفلهما، ويسعيا إلى تأييد مطالبه. فبعد أن ترى كيف تسير الأمور في صفّ طفلك، يمكنك أن تسأل المعلّم أو المدير عن دليل السياسات المتبّعة في المدرسة – إن وجد- الذي يبيّن الأساليب التربويّة التّي تتّبعها المدرسة مع الأطفال الموهوبين. اطلب رؤية هذا الدليل، ثمّ تحقّق من تطبيق المدرسة السياسات المتضمّنة فيه، حيث تصوغ معظم المدارس رسالتها في عبارات تتمثّل في تعليم الطلاّب كافّة، إلى أن يحقّقوا كامل إمكاناتهم وطاقاتهم. فهل هذه الأهداف مطبّقة فيما يخصّ الطلاّب الموهوبين؟ وإن كانت غير مطبّقة، يمكنك الإشارة إلى الكلمات الواردة في رسالة المدرسة عندما تطلب منها خيارات تربويّة لطفلك الموهوب. وقد تودّ أن تبحث في السياسات المنشورة في مدينتك، أو منطقتك التعليميّة التّي تتعلّق بفلسفة برامج الطلاّب الموهوبين وإجراءاتها. وتتضمّن هذه الوثائق، عادة، معلومات عن تعريف الطلاّب الموهوبين، ومعايير التعرّف إليهم، ومتطلّبات القبول في البرنامج، إضافة إلى القوانين

والتعليمات والأنشطة المعمول بها في مدارس معيّنة في تلك المنطقة التعليميّة. ويستطيع الوالدان كذلك أن يبحثا عن معلومات وسياسات مشابهة لتلك التّي تتبنّاها المدارس المحليّة الخاصّة والدينية.

كيف تدافع عن حاجات طفلك؟

قد يشعر الوالدان أحيانا بالحيرة أو بالإحباط، أو حتّى بالغضب، عندما يكتشفان أنّ حاجات أطفالهما التربويّة لم تتحقّق، وأنّ أطفالهما يشعرون بخيبة أمل من المدرسة. ولذلك فإنّهما يسعيان إلى معرفة الحدّ المسموح به لهما بالتدخل، وطلب خطط تربويّة خاصّة لطفلهما الموهوب. فإن كنت أحد هؤلاء الآباء، فإنّك قد تحتاج إلى أن تكون ملمًّا بكلّ ما يتعلّق بهذا الموقف، وأن تكون إيجابيًّا، وتصرّ على تنفيذ المدرسة لكلّ ما تطلبه منها. وقد تحقّق نتائج أفضل لو أنّك تتعامل مع المدرسة بروح تعاونيّة بدلاً من إظهار غضبك منها.

ويتعيّن عليك؛ كي تكون جهودك فعّالة، أن تكون ملمًّا بالخيارات والنماذج التربويّة المتنوّعة التّي تلائم الأطفال الموهوبين، وثمّة منظّمات في عدد من الولايات المتّحدة تعلّم الوالدين أن يدافعا عن حاجات أطفالهما، وعن الخيارات المتاحة لهم بالتحدّث مع الآباء والأمّهات الآخرين. وقد أوردنا بعض الكتب والمواقع الإلكترونيّة التّي تناقش تربية الموهوبين في ملاحق هذا الكتاب.

توجد أوامر إلزاميّة تشريعيّة في أكثر من نصف الولايات المتّحدة تبيّن بوضوح أنّ من حقّ الطلاّب الموهوبين الحصول على فرص تعليميّة خاصّة "تتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم". ويتعيّن على الوالدين أن يراجعا وزارة التربية في ولايتهما للحصول على نسخة من هذه الأوامر التشريعيّة؛ كي يكونوا على علم بما هو مطلوب من هذه المدارس. وهذا لا يعني، بالطبع، أن تذهب فورًا إلى المدير، وتقول له: "انظر! هذا ما يقوله القانون، ولكنّكم لا تنفذونه في المدرسة!" بل إلجأ إلى الطريقة الهادئة والإيجابيّة في التعامل مع الموقف للحصول على نتائج أكثر فاعليّة.

ولكن، إن لم تكن المدرسة على وعي بقدرات طفلك، فقد تكون بحاجة إلى جمع بعض الأدلّة وتنظيمها. قد تُحضر معك مثلاً، كتابًا يقرؤه الطفل في المنزل؛ كي تبيّن للمدرسة مستواه القرائي، أو تُحضر قصصًا وأشعارًا كتبها وحده، أو رسومات أو حتّى صورًا لأشكال صمّمها من قطع "الليجو" في أثناء اللعب. وقد تطلب، في بعض الحالات، أن يقوم عالم نفساني بفحص الطفل بغية تحديد مستوى موهبته، وجوانب قوّته أو ضعفه، كما يمكنك أن تلتقي بفريق متخصّص لدراسة حالة الطفل، حيث يوضّح عالم النفس مضامين درجات الاختبارات لمعلّمي الطفل. إنّ هذا اللقاء الرسميّ يعدّ نوعًا من التعاون بين المدرسة والمنزل، ويزوّد المدرسة بتقرير مكتوب، يتضمّن عددًا من التوصيات التّي يقدّمها عالم النفس للمعلّمين، يرشدهم فيها إلى كيفيّة التعامل مع الطفل الموهوب.

وإضافة إلى مساعدة المدرسة فإنّك ستحتاج، كي تفهم أنّ طفلك موهوب وسريع التعلّم، إلى بعض المعلومات المحدّدة عن البدائل التربوية للأطفال الموهوبين، التّي من شأنها أن تعينك على اقتراح خطّة تربوية مناسبة لطفلك وللمدرسة على حدّ سواء. توجد عدّة كتب يمكن أن تساعد الوالدين في المطالبة بخدمات إضافيّة لأطفالهما الموهوبين. منها مثلاً، كتاب "كارول ستريب" Carol Strip

و"جرتشين هيرتش" Gretchen Hirsch بعنوان مساعدة الأطفال الموهوبين على التحليق *Helping Gifted Children Soar*، الذي يصف باختصار الخيارات المتوافرة للأطفال الموهوبين داخل المدرسة، بما في ذلك عيّنات من العقود التّي يُبرمها المعلّمون مع هؤلاء الطلاّب، فيسمحون لهم بالقيام ببعض الأعمال المستقلّة التّي تحمل قدرًا من التحدّي. وكتاب "كارن روجرز" Karen Rogers إعادة صياغة تربية الموهوبين: كيف يمكن أن يزاوج الوالدان والمعلّمون بين البرنامج والطفل؟*Re-Forming Gifted Education: How Parents and Teachers Can Match the Program to the Child*، الذي يعرض تفاصيل موسّعة عن كلّ خيار من الخيارات المتاحة للموهوبين، ويدعم كلاًّ منها بنتائج البحوث التّي تثبت أنّه خيار مفيد للأطفال الموهوبين. كما يحتوي هذا الكتاب على نصائح رائعة عن تصميم الخطط التربوية لطفلك، وطرق التواصل مع المدرسة، وكيفيّة التفاوض بخصوص حاجات طفلك. ويصف كتاب "ديبورا روف" Deborah Ruf فقدان أدمغتنا: إهمال الأطفال الموهوبين *Losing our Minds: Gifted Children left Behind*، الفروق التطوريّة بين الموهوبين، مقترحًا خمسة مستويات من الموهبة، ونوع المدرسة التّي يحتاج إليها كلّ مستوى منها. كما تقدّم "ليزا ريفيرو في كتابها الذي سبق ذكر مصادر كثيرة جدًّا، ومواقع إلكترونيّة، واقتراحات عمليّة بخصوص منهاج الأطفال الموهوبين، إلى جانب أفكار وموارد تعليميّة مفيدة، سواءً أكان الطفل يتعلّم في منزله فقط أم لا.

وعندما تفاوِض بشأن خطة تعليميّة لطفلك، كن على وعي بما يسمّى «تسلسل السلطة» المعمول به في المدرسة، والأسلوب المناسب لمخاطبة الموظفين هناك. فيجب أن يتحدّث الوالد، بداية، مع معلّم الطفل لحلّ المشكلة، إن كانت على مستوى المدرسة المحليّة، ثمّ يذهب الوالد بعد ذلك إلى مدير المدرسة إن دعت الحاجة إلى ذلك، ثمّ إلى منسق تربية الموهوبين في المنطقة التعليميّة، وربّما إلى أخصّائي علم النفس في المدرسة. يجب ألاّ يقدّم الوالد أيّ شكوى لمدير المدرسة، أو لعضو في مجلس إدارتها قبل أن يكون قد حاول أن يحلّ المشكلة مع أيّ مستوى أدنى من ذلك المستوى. فأنت لا تريد أن «تتحايل» على المعلّم أو المدير، وإنّما تريدهما إلى جانبك. لا تذهب إلى السلطات العليا إلاّ بعد أن تفشل في الحصول على مساعدة من المعلّم، أو المدير. فعندما تذهب إلى أيّ شخص في السلطات العليا سيكون أوّل سؤال يسألك إيّاه هو إن كنت قد تحدّثت مع المعلّم أو المدير بشأن ما يقلقك حول تعليم طفلك.

إنّ ثقة المسئولين بك وتقبلّهم لمطالبك ستكونان أكبر عندما تبني علاقاتك بهم بناءً على المطالبة بتربية نوعيّة للطلاّب كافّة، وليس لطفلك وحده. فقد تقترح في المدرسة أن تقدّم برنامجًا خاصًّا، أو خبرة شخصيّة للصفّ بأكمله، أو أن تساعدهم في مراقبة الطلاّب على ساحة المدرسة، أو في تنظيم عمل المكتبة. إنّ أيّ اقتراح من هذه الاقتراحات يمكن أن يغيّر اتّجاهات المربين نحو الأطفال الموهوبين ونحو «والديهم شديدي الإلحاح». كما يمكنك أن تحضر بعض اجتماعات مجلس المدرسة ولجان التخطيط فيها، حيث تبدي لهم اهتمامك، وتوّجه إليهم الأسئلة، وتدعم أيّ قرار لصالح برامج تعليم الطلاّب الموهوبين.

وإن كانت المدارس القريبة منك لا توافر تدابير خاصّة بالطلاّب القادرين على التعلمّ السريع

والمميّز، فقد يكون من المناسب أن تبحث عن مدرسة أخرى. إنّ محاولة تغيير اتجّاهات المدرسة، وسياساتها، وتمويل برامجها ستكون عمليّة صعبة وطويلة، حيث يحتاج تنفيذ برنامج واحد للطلاّب الموهوبين، مثلاً، إلى سنوات عديدة من التخطيط المتواصل. ومع ذلك، فقد نجح بعض الآباء المطالبين بحقوق الطفل في إحداث هذه التغييرات. لكنّ ذلك سيحتاج حتمًا إلى تعاون كثير من الآباء والأمّهات، يعملون معًا، وبشكل متواصل لتحقيق ذلك. ويستطيع الوالدان، في الولايات التّي تتبنّى قانونًا إلزاميًّا لتربية الموهوبين، أن يثيرا المسألة بشكل قانوني، أو أن يطلبا وسيطًا بينهما وبين المدرسة[٤٨]، ولكنّ ذلك سيكون أمرًا شاقًّا، ويحتاج إلى كثير من الوقت. فقد يكون طفلك قد تعرّض لسنوات عديدة من التقدّم غير المناسب قبل أن تحدث هذه التغيّرات في مدرسته.

المدارس مرآة المجتمع

تخيّل أنّك مدير مدرسة تطالبك بتوفير خدمات نوعيّة بتمويل محدود! كانت المدارس قديمًا مؤسّسات أكاديميّة بالدرجة الأولى؛ في حين يفرض مجتمعنا الحديث مطالب كثيرة على المدارس الحكوميّة. فهي اليوم مطالبة بنقل الأطفال، وتغذيتهم، وتدريبهم جسميًّا، وضبط سلوكهم، وتزويدهم بمعلومات ومعارف متنوّعة، وصياغة الأهداف، واتّخاذ القرار، وتقدير الذات، والتوجيه المهني. ولهذا، يبدو أن مجتمعنا قد حمّل النّظام المدرسيّ أكثر ممّا يحتمل. فكيف تستطيع المدارس تحقيق ذلك كلّه؟

لقد واجه الإداريّون هذه المهامّ الصعبة، فقاموا بتنظيم مدارسهم لتحقيق أقصى درجة من فاعليّة التكاليف، ودرّبوا المعلّمين على مهارات التركيز على الأساسيّات،(التعليم من أجل الاختبار أحيانًا). ونُظّمت خطط التدريس اليوميّ حول ما يمكن توقّعه من أيّ طفل متوسّط القدرة، أو أعلى من المتوسط بقليل ممّن هم في الصفّ ذاته. وتعامل المديرون والمعلّمون مع الأطفال جميعًا على قدم المساواة؛ كي يوفّروا الكلفة والجهد، وخفضّوا توقّعاتهم من الصفّ إلى أدنى حدّ ممكن. وبما أنّ توجّه الدمج واحتواء الطلاّب من مختلف المستويات في صفّ واحد قد أفرز انتشارًا أوسع لقدرات الطلاّب، فمن غير المستهجن، إذن، ألاّ يستجيب المعلّمون لاستعدادات كلّ طفل وحاجاته الخاصّة في صفّ مزدحم بالطلاّب.

والآن تخيّل أنّك طالب موهوب في نظام مدرسيّ يقدّر الوسطيّة والالتزام والانسجام مع القوانين أكثر ممّا يقدّر الإبداع والتميّز والابتكار. إنّ مطالب الأطفال ذوي الحاجات الخاصّة، في هذه الحالة، تعني أنّ المعلّم لا يملك سوى وقت محدود لك وللأطفال الآخرين سريعي التعلّم مثلك. فقد تسمع المعلّم وهو يقول، مثلاً، "يتعيّن عليك أن تنتظر حتّى تبلغ المدرسة الثانوية؛ كي تتعلّم هذا النوع من الرياضيات"، إنّ مثل هذه العبارات تسبّب لك الحيرة، لأنّك تكون مستعدًا لهذه المستويات العالية من المنهاج في التوّ واللحظة.

الدعم المالي لتربية الموهوبين

تخيّل الآن أنّك والد لطفل ذو حاجات خاصّة، وأنّ المدرسة قالت لك:" نعم، إنّ طفلك ذو حاجات

خاصّة، لكننا لا نستطيع عمل أيّ شيء حيال ذلك." لقد مرّت أزمنة كان يحدث فيها ذلك للأطفال ذوي الحاجات الخاصّة. لكنّ آباء هؤلاء الأطفال وأمّهاتهم نظّموا أنفسهم وأثّروا في أعضاء مجلس الشيوخ للحصول على فرص أفضل. ونتيجة لذلك فإنّ أطفال التربية الخاصّة يحصلون الآن على تمويل من الولاية ومن الدولة للمساعدة في تعليمهم. لكنّ الأمر مختلف بالنسبة للأطفال الموهوبين، حيث لا يتوافر تمويل اتّحاديّ لمن يدرس منهم في المدارس المحليّة. ولم ينظّم آباء هؤلاء الطلاّب وأمّهاتهم أنفسهم بفاعليّة تكفي للمطالبة بتمويل مماثل، على الرغم من أنّهم استطاعوا، في عدّة ولايات، أن يطالبوا بقدر قليل من التمويل على المستوى المحلي وعلى مستوى الولاية.

ولا يزال تمويل التربية الخاصّة بالموهوبين محدودًا رغم أنّ ٢٩ ولاية، أصدرت حتّى عام ٢٠٠٤ قوانين تجبر المدارس على تحديد الأطفال الموهوبين وخدمتهم، في حين لا تزوّد خمس ولايات المدارس بأيّ تمويل، وتخصّص أربع عشرة ولاية أقلّ من ٥٠٠٠٠٠ دولار لتعليم الموهوبين. إنّ التدابير الخاصّة بتقديم خدمات تربويّة للأطفال الموهوبين يجب أن تحدث على المستوى المحلي أو على مستوى الولاية، في غياب إستراتيجية قوميّة متكاملة، أو مرسوم اتّحاديّ قانونيّ[٤٩]. ويقتصر التمويل الحاليّ لتربية الموهوبين على مشاريع البحث وعرض البرامج أكثر من تقديم خدمات خاصّة بهذه الفئة من الطلاّب[٥٠].

لقد نشرت وزارة التربية والتعليم الأمريكية عام ١٩٩٣ تقريرًا بعنوان: التميّز القوميّ: قضيّة تطوير المواهب الأمريكيّة *National Excellence: A Case for Developing America's Talent*، أشارت فيه إلى أنّ "سِنتَيْن" فقط من كلّ ١٠٠ دولار تنفَق على التربية الابتدائيّة والثانويّة، ويخصّصان لتعليم الموهوبين. وفي عام ٢٠٠٥ ارتفع مقدار ما يخّصص لتربية الموهوبين إلى ثلاثة "سنتات" من كلّ ١٠٠ دولار. وقد اشترط أكثر من نصف سكّان الولايات صورة من صور التدريب المتخصّص يحصل منه المعلّمون على إجازة، أو موافقة لتعليم الموهوبين[٥١].

أهمّيّة مشاركة الوالدين

الوالدان هما أفضل من يعرف أطفالهما. فلست بحاجة إلى الاعتماد كليًّا على هيئة التدريس في المدرسة؛ كي تقرّر إن كان طفلك موهوبًا. فملاحظاتك وأحكامك مهمّة؛ بالإضافة إلى وجود مصادر أخرى خارج المدرسة، بما في ذلك مهنيّون محترفون، يمكن أن يساعدوك في تحديد إن كان طفلك موهوبًا، تذكّر كذلك أنّ بعض الأطفال الموهوبين لا يعبّرون عن قدراتهم بالتحصيل المدرسيّ.

ويتعيّن على الوالدين أن يقيّما مدى ملاءمة البرامج المدرسيّة لأطفالهما الموهوبين. فيتعيّن عليهما أن يراقبا تقدّم طفلهما، ومدى تلقيه مادّة تعليميّة جديدة لم يسبق له أن تعلّمها، حيث تتحدّى قدراته وتجعله في حركة دءوب للعمل والتعلّم، لا أن يجلس بهدوء وصبر، في حين ينشغل الأطفال الآخرون بالمفاهيم والمهارات التّي كان قد أتقنها منذ زمن. يجب أن يمحّص الوالدان برامج المدرسة التّي تحاول تلبية حاجات الأطفال الموهوبين داخل غرفة الصف العاديّة، حيث يركّز المعلّمون على التعامل مع الطلاّب كآفة على قدْر من التساوي، ويستعملون الكتب المقرّرة ذاتها، ويطبّقون المعايير

والتوقّعات ذاتها. ولا شكّ في أنّ سرعة التعلّم تتباين بشكلٍ واسع في أيّ مجموعة من الطلاّب جُمعوا معًا على معيار العمر وحده. فقد يحتاج بعض الطلاّب بطيئي التعلّم إلى وقت طويل وتكرارات متعدّدة لإتقان مهارة جديدة، في حين يتقنها الأسرع تعلّما بعد استعراضها مرّة واحدة، دون الحاجة إلى المزيد من التكرار، أو التمرين. أمّا الطلاّب المتوسطون فيحتاجون إلى بعض الممارسة والتكرار لإتقان المفاهيم الجديدة.

كما يحتاج الوالدان أيضًا إلى المطالبة بتغيير الآراء الثقافيّة فيما يتعلّق بتربية الموهوبين، وزيادة الدعم الماليّ والتربويّ لها. وقد أنشأت ولايات متعدّدة مجموعات من الآباء والأمّهات تطالب مجالس المدارس، والمشرّعين، وقادة المجتمع المحلّي بتوفير بيئات أفضل للأطفال الموهوبين جميعهم.

إنّ تكافؤ الفرص التعليميّة لا يعني المساواة في التعليم. لكنّه يعني توفير فرص للطلاب جميعهم، للتقدّم والتحسن، في حين تعني المساواة تدريس المنهاج ذاته للطلاّب جميعهم. فالتربية العادلة والمتكافئة للطلاب كافة، بما في ذلك الطلاّب الموهوبين، تتمثل في منهاج يثير اهتمام هؤلاء الطلاّب، ويتحدّاهم بطرق تناسب قدراتهم وحاجاتهم الفرديّة، وتسمح لهم بالتقدّم في التعلّم واكتساب المهارات.